

تاريخ الإرسال: 2018-02-06

تاريخ القبول: 2018-07-30

**التجريب في رواية مفتاح الشقة الخامسة للروائي وهاب خالد
وانفتاحها على الأنواع الأخرى (الرسم، الموسيقى)(الأغنية) (...)**

ليندة بن عباس طالبة دكتوراه

جامعة محمد البشير الإبراهيمي - برج بوعريريج

الأستاذ المشرف: د. بلقاسم ذواوي

جامعة محمد البشير الإبراهيمي - برج بوعريريج

الملخص بالعربية:

يعدّ التجريب من أبرز القضايا التي طبعت العصر المعاصر على جميع الأصعدة بما في ذلك المجال الأدبي، خاصة على المستوى الروائي كون المبدع العربي قد مل من الروتين والتكرار، لذا سعى جاهداً إلى كسر الألفة من خلال الإتيان بالجديد وذلك عن طريق الانزياح والتجريب الذي يمكن أن يمس أي جانب من جوانب العمل الروائي (الموضوع، الحكمة، الأسلوب، اللغة، التقنية السردية...)، كما تعد ظاهرة التداخل والانفتاح على الأنواع والأجناس الأخرى تقنية سردية جديدة تقترب من التجريب هذا إن لم نقل أنها تتدرج ضمنه كون الانفتاح على الغير يسمح أيضاً بإدخال أساليب فنية جديدة ومن هذا المنطلق كان موضوع هذه الدراسة هو الوقوف عند رواية جزائرية معاصرة ضمت بين طياتها جانبين هامين هما (التجريب والانفتاح) وهي رواية "مفتاح الشقة الخامسة"، هي رواية خرج صاحبها عن المألوف على مستوى الشكل والمضمون، كما انفتح فيها على ثلاثة فنون مختلفة هي: الرسم، والفن الموسيقي (الأغنية) إضافة إلى الشعر كل هذا أضفى عليها جمالية فنية.

الكلمات المفتاحية: الرواية، التجريب، الانفتاح، الفنون.

résumé

L'expérimentation(en matière d'écriture) est considérée come l'une des propositions les plus importantes qui caractérise l'époque contemporaine, et ce dans tous les domaines, entre autres le champ littéraire notamment au niveau romanesque. Or, l'artiste arabe, lassé de la routine et de la répétition, n'a de cesse de briser la familiarité et de sortir des sentiers battus en apportant du nouveau. Ainsi, il use de l'écart et recourt a l'expérimentation qui peuvent toucher n'importe quel aspect de la composition romanesque (thème, texture, style, langue, technique narrative, etc.) De même, le phénomène d'interférence et d'ouverture, a d'autres aspects et genres, est une nouvelle technique narrative, qui s'apparente a de l'expérimentation, voire elle s'assimile a elle. Car, l'ouverture sur les autres compétences ou sphères permet d'introduire des styles artistique nouveaux. Partant de cette prémisse, l'objet de cette étude consistait a trouver un roman algérien contemporain, qui contiendrait dans ses strates ces deux préoccupation : l'expérimentation et l'ouverture. Le roman(de khalid wahab), intitulé : la clé du cinquième appartement, s'y prête parfaitement. Son auteur s'éloigne de la trame ordinaire tant au niveau formel que thématique, il s'étend a d'autres domaines artistique: la peinture, la musique(le chant), la poésie.

Les mots clé : Le roman, l'expérimentation, l'ouverture, Les arts.

عرفت الرواية العربية في السنوات الأخيرة تقدما كبيرا جعلها تحتل ريادة الأنواع الأدبية قاطبة هذا إن لم نقل أنها غدت ديوان العرب الأول؛ نظرا للإقبال الكبير عليها سواء من حيث الدراسة والتحليل والنقد بل وحتى على مستوى الإنتاج، ولعل ما سمح بذلك هو فضاءها الواسع الرحب الذي يسمح

للروائي بالتعبير بكل حرية عن قضايا تمس الإنسان وهمومه ومشاكله، هذا فضلا عن كونها من أكثر الأنواع الأدبية قابلية لاحتواء أنواع أخرى كالفنون البصرية والرسم والموسيقى؛ فمعروف عنها أن لها بنية « ليست ثابتة ومنتهية بل هي سيروية تحول وتحويل تنمو وتتطور وتتفاعل مع تطور المجتمع البشري وتتفتح على كل المستجدات والتغيرات »⁽¹⁾ وأكثر من ذلك فقد وقفت ندا للند أمام الشعر بل إنها احتوته بين طياتها، وهو ما ساهم في إحداث نوع من التفاعل والتمازج بين عناصر بنائها الفني والخصائص الفنية للأنواع الأخرى، مما أضفى عليها طابعا مميزا وجمالية فنية ف «انفتاح الرواية غير المحدود جعل منها نص العالم المتشبع بكل المعارف الإنسانية بالعلم والفلسفة والفن والتاريخ وهذا التفاعل المتميز هو الذي رسخ منطق التجديد والإضافة النوعية لدى الروائيين وبخاصة لدى الروائي العربي»⁽²⁾، فالروائي العربي يطمح دائما إلى التغيير والإتيان بالجديد بما يتواءم مع تطورات العصر وتغييراته خاصة مع انتشار ظاهرة العزوف عن القراءة والمطالعة كون القارئ العربي صار يمل من التكرار والاجترار لذلك سعى الروائي العربي ولا يزال يسعى إلى مساقاة رغبات القارئ من خلال إتيانه بالجديد في كل مرة سواء على مستوى الشكل أو المضمون، عبر كسر الرتابة القديمة وإعادة صياغة العمل الروائي بطريقة غير معتادة.

ومن هذا المنطلق حاولنا دراسة رواية جزائرية بقلم روائي شاب وهو الدكتور (وهاب خالد) والمعنونة بـ "مفتاح الشقة الخامسة"، والتي عمل فيها صاحبها على الانزياح والخروج عن الكتابة الجاهزة شكلا ومضمونا.

¹ محمد برادة: أسئلة الرواية، أسئلة النقد، شركة الرباطة، الدار البيضاء، ط1، 1996، ص58.

² هبة جواوي: التمثيل السردى للتاريخ الوطنى فى روايات واسينى الأعرج، مجلة المخبر، أبحاث فى اللغة العربية والأدب الجزائرى، جامعة بسكرة، الجزائر، ص253_254.

تعد رواية " مفتاح الشقة الخامسة" من الروايات المتوسطة الحجم إذ لم يتعد عدد صفحاتها (92 صفحة)، هي رواية جمعت بين قضيتين معاصرتين هامتين هما: مسألة التجريب الروائي ومسألة الانفتاح الروائي على الفنون الأخرى (كالرسم، الموسيقى...) واللدان ارتأينا أن يكونا موضوعا لهذه الدراسة ففيما تجلت معالم التجريب في هذه الرواية؟ وما مدى نجاح الروائي في تضمين روايته لفنون أخرى؟ وما الهدف من وراء توظيفه لهذه الفنون؟

1_ التجريب في رواية "مفتاح الشقة الخامسة":

1_1 مفهوم التجريب الروائي:

ويعتبر هذا الأخير (التجريب) «اتجاه جديد في التقنية الروائية، اعتمده الأدباء المعاصرون من أجل تجاوز واقعهم الفني المستهلك»⁽³⁾ إذ يعد «مشروع رؤية فنية تحت على الاجتهاد والفضول والمغامرة وعدم التسليم والقناعة بما هو جاهز من الأشكال والرؤى وأنماط التعبير، أي البحث عن شكل جديد للرواية واستكشاف عوالم فنية تخص هذا الجنس الأدبي، لم يسبق الولوج إليها»⁽⁴⁾ بمعنى صياغة عوالم وآليات فنية جديدة غير تلك التي عهدتها القارئ وترسخت في ذهنه لسنوات طوال «فالتجريب يسعى إلى تدمير سلطة السائد والمألوف الفني ثقافيا واجتماعيا بالبحث عن إجابات جديدة غير تلك التي جفت وכלت، إنها الثورة على القديم بكل أشكاله»⁽⁵⁾، والتجريب كمصطلح يعد من أبرز

³ _ محمد عزام: فضاء النص الروائي مقارنة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، 1996، ص72.

⁴ _ بلقاسم فداق منصور بويش: رواية الذروة لربيعة جلطي بين التجديد في التيمات ومحاولة البحث عن شكل جديد للكتابة الروائية، أعمال ملتقى المؤتمر الدولي: الرواية العربية في الألفية الثالثة، أغسطس 21_22_2016، ص101.

⁵ _ نوال بومعزة: أسئلة الكتابة وتقنيات التجريب الروائي الجديد " شتاء لكل الأزمنة " لبشير مفتي نموذجاً، مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة الوادي، مطبعة المنصور، العدد الرابع، مارس 2012، ص31.

المصطلحات الجديدة التي باتت تفرض نفسها على الساحة الأدبية والنقدية خاصة حينما يتعلق الأمر بالتعرض لقضية من القضايا المعاصرة.

يصعب تقديم مفهوم شامل لهذا المصطلح (التجريب) كونه مصطلحا فضفاضا يرتبط بالعديد من المجالات خاصة المجال العلمي، وتجدر الإشارة إلى أن «التجريب في المجال الأدبي أو الفني لا يختلف عنه في المجال العلمي ففي الأدب يكون عن طريق توظيف أساليب وتقنيات إنشائية تركز بدرجة كبيرة على اللغة وطريقة التعبير أما من الناحية العلمية فيكون ذلك بالتركيز على الجوانب الملموسة واستنتاج القوانين والنتائج»⁽⁶⁾؛ فالتجريب في اللغة مشتق كما هو معروف من الفعل " جَرَّبَ " الذي يحمل معنيين هما الاختبار والمعرفة فمن خلال الاختبار تولد المعرفة ويتم العلم بالشيء، كما أنه «من المفيد النظر إلى التجريب في الأدب كما في الفنون الأخرى، كمنهج راديكالي لمهمة إزالة الألفة المستمرة دائما»⁽⁷⁾ هذا عن التجريب من الناحية اللغوية.

أما من الناحية الاصطلاحية فإنه يعد « قرين الإبداع لأنه يتمثل في ابتكار طرائق وأساليب جديدة في أنماط التعبير الفني المختلفة، فهو جوهر الإبداع وحقيقته عندما يتجاوز المؤلف ويغامر في قلب المستقبل»⁽⁸⁾ بمعنى اختراع وابتكار طرق جديدة لم يسبق التطرق إليها من قبل، و يعد (إميل زولا) أول من استخدم هذا المصطلح في كتابه المعروف بـ " الرواية التجريبية " والتي اعتمد فيها على القواعد العلمية التي توصل إليها من خلال أبحاثه ولا بد من

⁶ _ محمد برادة الرواية العربية ورهان التجديد، دار الصدى، ط1، مايو 2011 ، ص48.

⁷ _ دفيد لودج: الفن الروائي، ترجمة: ماهر البطوطي، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2002، ص122.

⁸ _ صلاح فضل: التجريب في الإبداع الروائي، الرواية العربية " إمكانات السرد"، أعمال الندوة الرئيسية لمهرجان قرين الحادي عشر 11_ 13 ديسمبر 2004 ، دولة الكويت، ص 85.

التفريق بين مصطلحي الرواية التجريبية والتجريب الروائي حيث أن « الرواية التجريبية عمل تغييري ينطلق من وعي الكاتب ومن مفهوم جديد لديه لتأليف الرواية، أما التجريب الروائي فهو فعل محدود داخل مفهوم الرواية السائدة يعبر به الكاتب عن ذوق شخصي في التأليف أو التصوير أو اختيار الموضوع ويستقي أشكاله من نفسه أو من تجارب حاصلة خارج بيئته»⁽⁹⁾ بمعنى أن الرواية التجريبية تمس التأليف الروائي ككل في حين أن التجريب الروائي يتمثل في الحفاظ على هيكل الرواية المعروف وإنما إحداث خلخلات وانزيمات في مفاهيم بنيتها فقط مع الحفاظ على هويتها وشكلها.

1 2 مظاهر التجريب في رواية "مفتاح الشقة الخامسة":

لقد «أخذت الأشكال الروائية تتنوع وتنتقل من مرحلة تعلم الصنعة إلى مرحلة التشكيل الواعي، لوظيفة التقنية الفنية وامتداداتها المضمونية فالأزمنة أصبحت متداخلة، حلزونية المسار والصيغ ابتعدت عن اللوحات الاشتمالية) (البانورامية) لتتغلغل في التفاصيل والوصف الدقيق والحوار بدأ يتسع ليشمل مختلف مستويات اللغات الاجتماعية المتعايشة والمتصارعة ولم يعد السرد قائما على فكرة الإيهام بالواقع من خلال سارد عالم بكل شيء لقد تعددت منظورات الحكي ووجهات نظر السرد، مما يسر النقاط التعقيدات والتشابكات القائمة في واقع المجتمع وفي خطاباته واتجاهاته الفكرية والإيديولوجية»⁽¹⁰⁾ بمعنى أن التنوع والتغير مس جميع أنحاء العمل الروائي شكليا ودلاليا، فالتجريب يمكن أن «يتجلى في استعمال لغة مقتصدة وتجنب الوصف المطنب وتوظيف

⁹ _ لطيف زيتوني: التعقيب على بحث " التجريب في الإبداع الروائي "، الرواية العربية ... إمكانات السرد أعمال الندوة الرئيسية لمهرجان القرن الثقافي الحادي عشر 11_12 ديسمبر 2004، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت، 16 يونيو 2006، ص 98.

¹⁰ _ محمد برادة: أسئلة الرواية، أسئلة النقد، ص 65_66.

التلميح والصمت، ودعوة المتلقي ضمناً إلى إعادة تخيل النص»⁽¹¹⁾ أي أنه قد يمس أحد الجانبين (الشكل والمضمون) أو الاثنين معاً وفي الوقت نفسه، فـ «التجريب هو أن تكون كل الإمكانيات مفتوحة على عدد كبير من الاحتمالات في العمل الروائي، مثلما يتوفر على قدرة الابتكار وتطوير اللغة لأسلوب شخصي جداً لا يشبه سواه، والإيمان بالمغامرة الروائية، وولوج مستويات غير مسبقة في البنية الروائية والقدرة على الاستعارة الرمزية، وخلق البدائل للبنى القديمة في الأشكال الروائية»⁽¹²⁾ فالروائي الحقيقي المبدع هو ذلك الذي يعرف كيف يستغل كل الوسائل والإمكانيات المتاحة له في توليد معان جديدة سواء على مستوى اللغة أو البنية السردية أو على مستوى صعيد العمل الروائي ككل.

أ. مظاهر التجريب من حيث الشكل (تشظي الشكل الروائي):

إن تشظي الشكل الروائي يرجع « إلى اهتزاز الشكل الواقعي الكلاسيكي المعتمد على سرد خطي والتزام منظور أحادي، وطموح إلى القبض على الواقع في تجلياته التفصيلية، ومنطقه المرئي [...] لكن عوامل معرفية جديدة زحزحت هذا المفهوم للواقع، وفي طبيعتها إثبات التحليل النفسي لتعددية الذات والأنا وتعايش الخطاب الملفوظ مع طبقات الحوار الداخلي (المونولوج) تنازع الكلام المعلن وتمتدح من الكلام المكبوت واللابد في مناطق النفس السردية وهذا ما جعل السرد الحديث يحقق "الشفافية الداخلية"⁽¹³⁾ إذ غاص السرد المعاصر في أغوار النفس البشرية وحاول أن يصور جميع خلجاتها وخبائها.

¹¹ _ محمد براءة: الرواية العربية ورهان التجديد، ص 54.

¹² _ لطيفة الدليمي: الرواية العربية تمثيل دقيق لتداعيات واقعنا العربي، مجلة ذوات، الرباط، العدد 20، 2015، ص 60.

¹³ _ المرجع السابق، ص 51.

لقد استطاع الروائي (وهاب خالد) في روايته "مفتاح الشقة الخامسة" خلق عوالم جديدة جعلت نصه الروائي قادرا على الاستجابة لتطورات العصر، وقد تجلت عوالم التجريب في روايته هذه (مفتاح الشقة الخامسة) من ناحية الشكل في: _ اعتماده على تقنية البنى والتقطيع إلى صور ولوحات مستقلة تحمل أرقاما وعناوين مصحوبة باقتباسات ولكنها رغم استقلاليتها في هذه الجوانب الثلاث (الأرقام، الاقتباس، العناوين) إلا أنها شكلت مجتمعة رؤية فنية موحدة لهذا العمل ككل.

لقد قسم الروائي هذه الرواية إلى خمس جداريات مرقمة من (01 إلى 05) ومعنونة على النحو التالي: (الجدارية الأولى: جروح نازفة، الجدارية الثانية: الجدار، الجدارية الثالثة: الهيكل، الجدارية الرابعة: المخطوط، الجدارية الخامسة: مدينة الضباب)، كما ضمن كل جدارية اقتباسا مختلفا عن الآخر، إذ استطاع من خلال كل مقتبس تقديم جزء كبير من مضمون الرواية لكن بشكل موجز ومكثف لغويا وداليا وقد تراوحت هذه الاقتباسات بين الشعر والنثر، حيث نجده وظيف من النثر اقتباسات لأدباء وعلماء عرب قدماء ومعاصرين كما لم تخلو الرواية أيضا من اقتباسات لأدباء غرب فعلى مستوى النثر نجده اقتبس من (أحلام مستغانمي سيد قطب، باولو كويليو) أما من الشعر فنجد أنه أخذ من (محمود درويش وكذا من غادة السمان)، وتجدر الإشارة إلى أن اختيار الروائي لهذه الاقتباسات كان مقصودا فقد كانت كلها بمثابة تمهيد لكل حدث سيأتي لاحقا والذي لخصته كل جدارية على حدى.

_ ومن مظاهر التجريب أيضا على مستوى الشكل نجد أنه قد أتبع كل جدارية برسومات مرسومة باليد عكست أحداث الرواية لكن هذه المرة صوريا وليس كتابيا فقد أوجز الكثير من الأوصاف التي كان من شأنها أن تجعل من الرواية رواية مطبوعة بالوصف، كبيرة الحجم، مملة ومتعبة، إلا أن الروائي عرف جيدا كيف يبني هيكل روايته إذ أورد أحداثها في صفحات قليلة لكنها كانت

مشبعة بالدلالات والإحالات التي أضفت على النص جمالية فنية، إذ أن العديد من الرسومات التي أدرجها كانت على شكل أحداث ملخصة في صور صماء لكنها كانت صارخة معبرة تجاوزت في بعض الأحيان بلاغة الكلمة ذاتها.

_ كذلك نجد أن الروائي لم يستخدم اللغة العامية فقد خلت كل صفحات الرواية من التعدد اللغوي فمن المعروف عادة أن جل « نصوص الرواية الجديدة تبرز أكثر قاموس الكلام المقتبس لألفاظ أجنبية وتعبيرات متصلة بالحياة اليومية والوسائط التكنولوجية المعوضة لوسائل الاتصال التقليدية»⁽¹⁴⁾، لكن الروائي (وهاب خالد) في هذه الرواية خالف السائد والمعروف وذلك من خلال تركيزه على اللغة الفصحى فقط ولعل ذلك راجع إلى كونه اعتمد في بناء روايته على شخصيات مثقفة ذات مستوى لغوي رفيع، اعتمدت في حواراتها على اللغة الراقية التي عكست المستوى الاجتماعي والفكري والثقافي الذي تنتمي إليه، فقد رأى أن اللغة الفصحى التي قوامها الانزياح والغموض هي الأكثر تعبيراً وإيحاء في هذا الموضع، كما أنها الأكثر واقعية وشعرية فقد كانت لغة متناسبة مع ما يرمي إليه الروائي.

ب ـ مظاهر التجريب من حيث المضمون (دلالية) :

_ يتجلى التجريب الروائي على هذا المستوى في « بروز تيمات يتداخل فيها الذاتي بالموضوعي عبر رؤيات إشكالية تحاول أن تقدم أجوبة عن أسئلة الواقع ومن أهم تلك التيمات: جحيم المدينة، تمزق الذات، تداخل القيم واهتزازها، الهوية في مواجهة الآخر، التمرد والاحتجاج، تصوير القمع واحتقار الإنسان»⁽¹⁵⁾ وقد تجلى ذلك بشكل واضح في الرواية التي بين أيدينا إذ عمل صاحبها على «نقل الأحاسيس والمشاعر التي يكابدها ثلة من المثقفين

¹⁴ _ محمد برادة: الرواية العربية ورهان التجديد، ص55.

¹⁵ _ محمد برادة: أسئلة الرواية، أسئلة النقد، ص65.

الفلسطينيين من خلال دفاعهم المستميت عن مبادئهم ومقوماتهم الدينية والوطنية»⁽¹⁶⁾ وهذه هي القضية الرئيسية التي دارت حولها أحداث الرواية والتي حاول صاحبها معالجتها بأسلوب فني جديد.

_ كما تجلّى التجريب الروائي أيضا على مستوى المضمون في بنيات الحكى (السرد، الوصف الفضاء، الزمن، الشخصيات)، فعلى على مستوى السرد نجد أنه عمل على القيام بعملية استعادة تخيلية للنص التاريخي (الذي يتحدث عن الهيكل) وإعادة بناء هذه القضية الموروثة وفق نسق جديدة، ومحاولة ربطها بفكر الأمة العربية، وقد أشار المؤلف إلى ذلك في استهلال روايته بقوله «القصة التي بين يديك عزيزي القارئ عزيزتي القارئة، هي من وحي الخيال. إلا أنها تستند في حبك أحداثها إلى واقعة تاريخية محورية. تتمثل في الهيكل أو المعبد الذي بناه نبي الله سليمان بن داوود عليه السلام ومحاولة مثقفي وساسة اليهود إحياء رميم هذه الواقعة من خلال زعمهم بأن بقايا هذا المعبد موجودة تحت مسجدنا الأقصى»⁽¹⁷⁾، وهي مجرد ذريعة فقط لتهديم المسجد، فبعد تحطيم جل المساكن التي يقطنها الفلسطينيون لم يبق إلا المسجد الأقصى لم يهدم فلم يجدوا السبيل إليه إلا هذا الزعم.

_ كما نجد من مظاهر التجريب هنا أيضا توظيفه العجائبية أو الواقعية السحرية من أحداث وحوارات تجاوز بها الروائي العالم الواقعي إلى الخيال المجنح؛ فشخصيات الرواية هي شخصيات واقعية لكن الروائي طبعها بطابع سحري أبعداها عن الواقع، فالشخصية الرئيسية في هذه الرواية هي شخصية (غسان) والذي دار بينه وبين شخصية أخرى حوار غريب جمع بين الحلم والواقع وهي شخصية (الفزاعة)؛ فشخصية الفزاعة التي هي عبارة عن كومة

¹⁶ _ وهاب خالد: مفتاح الشقة الخامسة، دار النشر جيطلي، برج بوعرييج، (د/ط)، 2012، ص 9.

¹⁷ _ المصدر نفسه. ص: 9.

قش والتي أعطاهما الروائي دورا مميزا حاول من خلالها تصوير معاناة الإنسان الفلسطيني وأحلامه التعجيزية التي لا يستطيع أحد تلبيتها لو لم يقم هو بذلك، وبتغيير نفسه من أجل تغيير أوضاعه، وقد تجلّى ذلك في الحوار الذي دار بين (غسان) الشخصية الرئيسية والفزاعة:

« _ الفزاعة: تمنى ثلاث أمنيات، وسأعمل على تحقيقها لك "

_ هل أنا في حلم... أم في حكاية ألف ليلة وليلة؟

_ الفزاعة قلت تمنى، وسترى الحلم يتحقق...»⁽¹⁸⁾ فهنا تجاوز الروائي كل ما هو واقعي إلى غير منطقي لا يتقبله العقل البشري.

أما على مستوى الوصف فقد كانت الرواية عبارة عن سلسلة لوحات حاولت تصوير الخراب والدمار الذي لحق المدينة من جراء وحشية الاستعمار الصهيوني، ولعل الميزة الأساسية التي طبعت الوصف في هذه الرواية هي الدقة والتركيز على الجزئيات البسيطة جدا وهو ما تجلّى في تقديم السارد ووصفه لمنزله والحالة التي كان عليها « كان العالم كئيبا... هو ما يزال كئيبا خلف شباك نافذتي... ما يزال حزينا داخل غرفتي الصغيرة، فمن أحد أركانها يطل علي هذا القنديل الذي لا يكاد لهيبه أن يخدم وفي الركن المقابل للباب الحديدي الذي رصت راحته بثقوب مبعثرة هنا وهناك»⁽¹⁹⁾ ومن المقاطع الوصفية أيضا التي رسمت الدمار والخراب نجد هذا الوصف لحالة المدينة بعدما لحقها الدمار « في غضون أيام معدودة، تحولت المدينة إلى بركان يقذف بحمم الفاجعة المتأوهة الصارخة عنفا وسخطا. وكأن جرما فضائيا استقر فوق

¹⁸ _ وهاب خالد: مفتاح الشقة الخامسة. ص42.

¹⁹ _ المصدر نفسه، ص33.

راحة ذلك الجبل الصخري المتهرئ، الذي يبدو أنه سيعلن عن بداية انهياره قريبا...»⁽²⁰⁾ فقد أحرق المستعمر الأخضر واليابس.

أما عن الانزياح من ناحية المكان فقد استخدم الروائي عدة أماكن مشفرة بالدلالات والرموز والممثلة في الغرفة التي كانت تقطن بها الشخصية (غسان) إضافة إلى السجن والكنيسة، وقد امتزج كل مكان من هذه الأمكنة بذكرات وأحداث جميلة ومفجعة في الوقت نفسه، كما نجد أيضا المكتبة التي كان يرتادها (غسان) والتي كثيرا ما كان ينعتها بالمنارة، لأنها المكان الوحيد الذي لم تدنسه أيدي الصهاينة، أما فيما يخص التجريب على مستوى الزمن، فالبناء المتشظي للزمن في النص الروائي يظل أكثر الأشكال انفتاحا على الأنواع الأدبية نتيجة لكسر التتابع والتسلسل، فيتحول النص الروائي إلى شيء ما أشبه بالحلم أو الكابوس، وهذا ما لاحظناه على شخصية (غسان) الذي تارة يعيش الواقع بكل أحداثه وتارة أخرى نجده بين أحلام وتخيلات لا أساس لها من الوجود ولا يمكن أن تتحقق، كما نجد أن الروائي في رواية مفتاح الشقة الخامسة كان يتلاعب بالزمن فالأحداث غير متسلسلة، وغير مرتبة منطقيا؛ فتارة يتحدث عن أحداث حالية تعيشها الشخصية، ثم يعود إلى الماضي وأحيانا أخرى نجده يستشرف المستقبل ولعل ذلك راجع إلى أن «رواية التجريب، ولاسيما الرواية التي تعتمد تيار الوعي لم تعد تعنى بالترتيب النمطي العقلي المنسق ببداية ووسط ونهاية؛ لأن مهمتها تكسير القوالب النمطية _ الكلاسيكية _ والثورة على الجمود، والتراتبية الزمنية التي تعني عدم القابلية

²⁰ _ مها يوسف حسن القسراوي: النص الأدبي بين مصطلحي التداخل والتراسل رواية البراري الحمى لإبراهيم نصر الله نموذجا، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد الثامن عشر، العدد الثاني، يونيو 2010، ص 1020.

للتطور وفق رواية تيار الوعي»⁽²¹⁾، وهو ما تجلى فعلا في بعثرة ذاكرة الشخصية وتاريخها.

أما التجريب على مستوى الشخصية فنجد أن «الشخصيات في الروايات الحديثة لا تبدي أي سمات بطولية: إذ قلما ينظر إليها بتقرد أو على أساس امتلاكها لسمات فائقة، وقلما تنجز هذه الشخصيات الكثيرة في الرواية»⁽²²⁾؛ وقد بدا ذلك واضحا في هذه الرواية، لقد احتوت على ثلاث شخصيات هي شخصية (غسان) وهي شخصية مثقفة استطاعت بفضل إصرارها وتحديها أن تحول الكلمات إلى جروح وأن تهدي قلمها وروحها فداء للوطن وهذا ما جاء على لسان الروائي ذاته، ف(غسان) يمثل نموذجا حيا عن المثقف الفلسطيني الذي يدافع عن وطنه بقله «لم أكن وحدي... كان قلمي يرافقني. يمسك يدي بعنف، وكأنه يخشى أن ألفت من قبضته، وأضيع في أغوار المجهول. مثلما ضاعت ممحاتي المسكينة التي أفنت جسمها في محو أخطاء لم ترتكبها، وأضاعت معها الكثير في رحلة البحث عن السراب»⁽²³⁾، بل أكثر من ذلك فقط استطاع انقراض واسترداد المخطوط الذي يحوي سر الهيكل والذي كان قد وقع من قبل في أيدي الأعداء.

لقد ركز الروائي في رسمه لهذه الشخصية بالدرجة الأولى على الجانب النفسي والذي أوضح من خلاله المعاناة التي يعانيها المثقف الفلسطيني نتيجة تمسكه بقضايا وطنه، كما صور كذلك قضية الإحساس بالضيق التي كان يعانيها نتيجة فقدانه لأعز ما يملك في الوجود ألا وهو الأهل، أما من الناحية

²¹ _ حسن عليان: الرواية والتجريب، مجلة جامعة دمشق، المجلد 23، العدد الثاني، 2006، ص 83.

²² _ جيسي ماطر: تطور الرواية الحديثة (دراسة)، ترجمة: لطيفة الدليمي، مطبعة دار الهدى، بيروت، لبنان، ط 1، 2016، ص 135.

²³ _ وهاب خالد: مفتاح الشقة الخامسة، ص 20.

الجسمية فالروائي لم يقدم أي وصف من هذا الجانب لهذه الشخصية بل حتى أنه اكتفى فقط بالحديث عنها دون تصريح باسمها حتى آخر صفحات الرواية، إضافة إلى ذلك نجد أيضا شخصية (شرين حقي) والتي كانت راهبة في إحدى الكنائس حاولت الإيقاع بـ (غسان) وتقديمه كقربان مستغلة بذلك معرفته السابقة له مدعية أنها باحثة آثار، تحاول أن تحصل على المخطوط الذي يحوي سر الهيكل، إضافة إلى شخصية الشيخ صاحب المخطوط.

لعل ما مميز التجريب على مستوى الشخصيات في هذه الرواية هو قلتها مقارنة مع الروايات القديمة إضافة إلى إهمال الجانبين الجسمي والاجتماعي والتركيز على الباطن الممثل في الجانب النفسي.

2. مظاهر انفتاح الرواية على الأنواع الأخرى:

سبق وأن أشرنا إلى أن الرواية من الأجناس الأدبية الأكثر قابلية لاحتواء أجناس وأنواع أخرى أدبية وغير أدبية، حيث تعد هذه التقنية تقنية سردية جمالية تتدرج ضمن التجريب أيضا، وكما هو معلوم أن « التجريب الروائي وعي حدائي بالكتابة، وضد قواعد الكتابة الجاهزة، لأنه يجعل الكتابة الروائية في حالة انفجار، وهو اقتحام لتخوم الكتابة، حيث لا حدود لها، بل إنها كنص مفتوح تتفتح على كل الموضوعات والنصوص الأخرى»⁽²⁴⁾ فالانفتاح يسمح كذلك بإدخال أساليب مختلفة وكسر الرتابة، ومما لاشك فيه « أن الفنون الجميلة تشترك مع الإنسان في ثلاث نقاط: الكلمة_ الحركة_ الصوت)، وعلى ذلك [...] الفنون تنقسم إلى ثلاث مجموعات (مجموعة فنون اللغة ، مجموعة فنون الحركة) (الفنون التشكيلية)، مجموعة فنون اللعب بالإحساسات. وتشمل فنون اللغة (البلاغة والشعر) وتشمل فنون الحركة أو الفنون التشكيلية (النحت

²⁴ _ محمد عز الدين التازي: التجريب الروائي وتشكيل خطاب روائي عربي جديد، بحث مقدم لندوة الرواية العربية، المجلس الأعلى للثقافة، الدورة الخامسة لملتقى القاهرة للإبداع الروائي، الرواية العربية إلى أين؟ 12_ 15 ديسمبر 2010، ص2.

_ العمارة_ التصوير) وتشمل فنون اللعب بالإحساسات(التلاعب بدرجات الصوت واللون كالموسيقى والتصوير والتلوين»⁽²⁵⁾.

وتعد رواية مفتاح الشقة الخامسة من النماذج الأدبية التي احتوت في ثناياها ثلاثة فنون هي الرسم والشعر والأغنية (الموسيقى)، وقد جاءت هذه التوظيفات: الشعر والموسيقى(الأغنية) والفن التشكيلي في وضعيات مختلفة فتارة للاستشهاد وتارة لعلاقتها بالأحداث وبأفعال الشخصيات وأقوالها إضافة إلى توظيف السيرة الذاتية.

1_ انفتاح الرواية على الشعر:

لقد وظف الروائي فن الشعر في روايته عن طريق ما يسمى بالتناص وقد تجلّى ذلك منذ العتبات الأولى للعمل فهو حاضر في الرواية منذ بدايتها، حيث أورد الروائي مدخلا شعريا استقاه من قصيدة معنونة بـ "مدينتي" لنزار قباني، وقد جاءت مباشرة بعد الإهداء وكأنه يهدي عمله هذا إلى مدينة فلسطين التي ليست بلد الفلسطينيين فقط وإنما هي بلد جميع المسلمين، ومن أبيات هذه القصيدة يمكن أن نورد هذا المقطع الذي يقول فيه:

« برغم... برغم خلافتنا

برغم جميع قراراتنا

بأن لا نعود

برغم العداء... برغم الجفاء...

برغم البرود»⁽²⁶⁾.

كما وظف كذلك شعرا ورد على لسان الشخصية (غسان) كتبها على الجدار بالمدينة وراح يرددّها على مسامعه:

²⁵ _ نرmin يوسف حطيني: تصنيفات الفنون لأمة الفكر، مجلة البيان، رابطة الأدباء في الكويت،

الكويت، العدد 462، يناير 2009، ص 57.

²⁶ _ وهاب خالد: مفتاح الشقة الخامسة، ص 6.

« الحر...حر... وإن تلاعبت به الأيام

والصغير... لابد أن يكبر...

والسماء... لابد أن تمطر...

والظلم... لابد أن يقهر...»⁽²⁷⁾

وغيرها من الأشعار التي جاءت معظمها مرتبطة بالأحداث.

2. انفتاح الرواية على الرسم:

إن الفنون بكل أنواعها تعكس رؤية صاحبها وطريقة تفكيره ورؤيته للحياة، ويعد الرسم من الفنون الصماء التي تخاطب العقل قبل العاطفة، وتعكس أشياء مختلفة بطريقة غير مباشرة تهدف إلى إعمال ذهن المتلقي وإمتاعه من خلال تشكيلات وألوان مختلفة، فإذا كانت مادة الأدب الكلمات فإن مادة الرسم هي الألوان كما أن له أهمية كبيرة في العمل الروائي باعتباره عنصرا مهما يصاحب النص اللغوي ويجسد أدبتيه ويزيد من جماليته، وقد عمد الروائي إلى توظيف رسومات مرسومة باليد مكننتا من أن نقرأ ونرى في الوقت نفسه فقد كان هناك نوع من التمازج الفني بين الرسم والنص اللغوي وللإشارة فإن تلك الرسومات كانت خالية من الألوان وذلك ليعكس الحالة النفسية التي كانت تختلج ذاته وحاول إسقاطها على معظم شخصياته للتعبير عنها، فقد رسمت الرسومات بقلم الرصاص فقط أي اللون الرمادي كان هو الغالب وكما هو معروف أن اللون الرمادي من الألوان التي توحى بالضبابية وعدم وضوح الرؤية إضافة إلى بعث الكآبة، فالمنقف العربي عامة والمنقف الفلسطيني خاصة صار ضائعا داخل مجتمعه مهماشا منزوع الحرية في كل شيء خاصة الحرية الفكرية نتيجة اضطهاد المستعمر، ولقد كانت معظم رسومات الرواية

²⁷ _ وهاب خالد: مفتاح الشقة الخامسة. ص32.

مستوحاة من أحداثها حيث بلغ توظيف الروائي لفن الرسم نسبة كبيرة بلغت تسع رسومات وقد ارتبطت أغليبيتها بالأحداث التي تجري داخل الرواية.

3_ انفتاح الرواية على الموسيقى (الأغنية):

لم تخل رواية مفتاح الشقة الخامسة من الموسيقى (الأغنية) هذه الأخيرة التي تعد من الفنون الجمالية التي تخاطب الإحساس بالدرجة الأولى وتتلاعب بالعواطف فهي مرتبطة بالروح التي تسكن الجسد، كما أنها تطرب السمع وتجعل الفرد يحلق في بحر من الجمال، ولم تقتصر وظيفتها عند هذا الحد بل دخلت مجال النص وامتزجت مع اللغة مشكلة بذلك انفجارا أدبيا خلاقا يجعل القارئ يتلذذ في قراءته للعمل الروائي، وقد تجلى هذا النوع من الفنون في الرواية في هذا المقطع من جنيريك لرسوم كارتونية للأطفال والمعنونة بـ " أنا وأخي " وقد وظفها الروائي في سياق الأحداث أثناء تذكر الشخصية لأيام طفولته وحنينه لأمه « مستسلما لحلم أعيد به طيف أمي من جديد:

شوق يدفعني لأراها...

أمي ذكرى لا أنساها...

طيف أنقى... من زيد الأيام أبقي...

لو سرقت منا الأيام...

قلبا معطاء بسام...

لن نستسلم للآلام... لن نستسلم للآلام...»⁽²⁸⁾ ، فقد حاول (غسان) الشخصية الرئيسية في الرواية من خلال هذه الأغنية أن يتذكر إخوته الذين اغتالهم يد المستعمر وهم يتزاحمون على مشاهدة هذه الرسوم الكارتونية.

لقد سمحت تقنية التجريب الروائي بإضفاء عناصر جمالية جديدة على الرواية لم تكن متوفرة من قبل سواء على مستوى الشكل أو المضمون زادت من

²⁸ _ وهاب خالد: مفتاح الشقة الخامسة، ص75.

القابلية على دراستها والاطلاع عليها كونها دائما تأتي بالجديد الذي يحبزه القارئ دائما، كما أن تقنية الانفتاح الروائي على الأجناس الأخرى لعب أيضا دورا بارزا في طبع الرواية بميزات خاصة زادت رونقا وجمالا، فبعدما كانت مقتصرة فقط على الفنون اللغوية (الشعر والبلاغة) صارت تشمل فنون الحركة أيضا (كالرسم) وفنون اللعب بالإحساسات (كالألوان والموسيقى).

لقد وفق الروائي "وهاب خالد في روايته هاته (مفتاح الشقة الخامسة) التي تعد من أبرز الروايات المعاصرة التي عمل صاحبها على محاولة إعادة الكتابة عن قضية تاريخية (الهيكل) لكن بطريقة مختلفة فقد صاغها بأسلوب فني جميل ممزوج بخيال مجنح، كما عمل كذلك على طبع روايته هذه أيضا بأساليب فنية جميلة جعلتها رواية مميزة شكلا ومضمونا.

ولكن مع ذلك يبقى على الروائي أن يحافظ على هوية العمل الأدبي الذي ينجزه مهما تعددت الأنواع وتداخلت فيه لأنها تلعب دور إضافة الجمالية فقط لا إلغاء الهوية لأنه يبقى في النهاية لكل نوع وجنس ميزته الخاصة التي تميزه عن غيره.

الهوامش

1_ بلقاسم فداق منصور بويش: رواية الذروة لربيعة جلطي بين التجديد في التيمات ومحاولة البحث عن شكل جديد للكتابة الروائية، أعمال ملتقى المؤتمر الدولي: الرواية العربية في الألفية الثالثة، أغسطس 21_ 22_ 2016.

2_ جيسي ماتر: تطور الرواية الحديثة (دراسة)، ترجمة: لطيفة الدليمي، مطبعة دار الهدى، بيروت، لبنان، ط1، 2016.

3_ حسن عليان: الرواية والتجريب، مجلة جامعة دمشق، المجلد 23، العدد الثاني، 2006.

4_ دفيد لودج: الفن الروائي، ترجمة: ماهر البطوطي، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2002.

5_ صلاح فضل: التجريب في الإبداع الروائي، الرواية العربية " إمكانات السرد"، أعمال الندوة الرئيسية لمهرجان قرين الحادي عشر 11_ 13 ديسمبر 2004 ، دولة الكويت.

6_ لطيفة الدليمي: الرواية العربية تمثيل دقيق لتداعيات واقعنا العربي، مجلة ذوات، الرباط، العدد 20، 2015.

7_ لطيف زيتوني: التعقيب على بحث " التجريب في الإبداع الروائي "، الرواية العربية ... إمكانات السرد أعمال الندوة الرئيسية لمهرجان القرين الثقافي الحادي عشر 11_ 12 ديسمبر 2004، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت، 16 يونيو 2006.

8_ محمد بريدة: أسئلة الرواية، أسئلة النقد، شركة الرابطة، الدار البيضاء، ط1، 1996.

9_ محمد بريدة: الرواية العربية ورهان التجديد، دار الصدى، ط1، مايو 2011.

10_ محمد عز الدين التازي: التجريب الروائي وتشكيل خطاب روائي عربي جديد، بحث مقدم لندوة الرواية العربية، المجلس الأعلى للثقافة، الدورة الخامسة لملتقى القاهرة للإبداع الروائي، الرواية العربية إلى أين؟ 12_ 15 ديسمبر 2010.

11_ محمد عزام: فضاء النص الروائي مقارنة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، 1996.

12_ مهما يوسف حسن القصاروي: النص الأدبي بين مصطلحي التداخل والتراسل رواية البراري الحمى لإبراهيم نصر الله نموذجاً، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد الثامن عشر، العدد الثاني، يونيو 2010.

- 13 _ نرمين يوسف حطيني: تصنيفات الفنون لأمة الفكر، مجلة البيان، رابطة الأدباء في الكويت، الكويت، العدد 462، يناير 2009.
- 14 _ نوال بومعزة: أسئلة الكتابة وتقنيات التجريب الروائي الجديد " شتاء لكل الأزمنة " لبشير مفتي نموذجاً، مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة الوادي، مطبعة المنصور، العدد الرابع، مارس 2012، ص 31.
- 15 _ هبة جوادي: التمثيل السردى للتاريخ الوطنى فى روايات واسينى الأعرج، مجلة المخبر، أبحاث فى اللغة العربية والأدب الجزائرى، جامعة بسكرة، الجزائر.
- 16 _ وهاب خالد: مفتاح الشقة الخامسة، دار النشر جىطلى، برج بوعريرج، (د/ط)، 2012